الآداب الفكرة
الآداب المجلّة

غانم الدبّاغ

ما ازال اذكر ذلك اليوم جيدا .. اليوم الذي وصل فيه العدد الاول من مجلة « الآداب » الى مدينتنا – الموصل – ... كان ذلك في بداية عام ١٩٥٣ ، وكانت المدينة ، رغم انها من حواضر العراق ، تعاني من قحط فكري وجدب ثقافي مريع ، تقتصر صحافتها على جريدتين محليتين او اكثر ليس للادب فيهما سوى ركن اسبوعي يعتمد ما ينشر فيه على مزاج اصحاب الصحيفة الذين كان اكثرهم ممن يجيدون القراءة والكتابة فقط . ولا يزيد ما يوزع من كل صحيفة على بضع مئات فقط ، وكل غذائنا الفكري كان مستمدا من الصفحات الادبية التي تنشرها صحف العاصمة (بغداد) اسبوعيا ، ويتبقى ادبنا المحلي محليا صرفا مخنوقا لايتنفس الا هواء المدينة الراكدة ، والتي كانت تعاني من كبت السلطة الحاكمة معاناة شاقة وطويلة .

قبل صدور مجلة « الآداب » كانت مجلات الاديب (اللبنانية) والرسالة والثقافة والهلال (المصرية) تملأ بعض جوانب الفراغ الثقافي . ورغم انها كانت جميعا مقروءة مع بعض المجلات الادبية التي كانت تصدر في بغداد صدورا غير منتظم أو تومض كالبرق وتختفي بعد عددين او اكثر ، فان عدم وضوح فكرها الثقافي وخط سيرها يجعل القارىء نهما ومتطلعا دائما الى ما يسد فراغ المعرفة لديه والى التزود بالتيارات الفكرية المعاصرة والبحوث النقدية الجيدة والالتزام الواعي بقيم العصر الجديدة ومعالم الفكر الانساني عامة ، كل ذلك كان يشعرنا بالحاجة الماسة والشديدة الى مجلة او صحيفة تسد هذا الفراغ وتأخذ بيد القارىء العربي اخذا تبصّره فيه وتحدد له مكانته من الفكر العالمي .. وكانت الآداب الفكرة التي يطمح الى تحقيقها كل مثقف عربي حينذاك ، بصرف

المفارقة

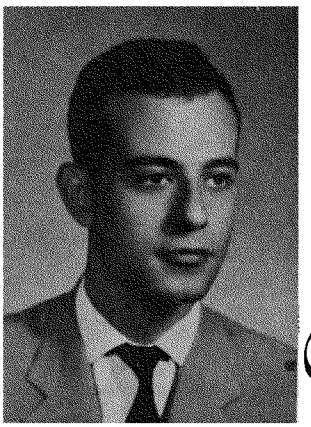

جورج طرابيشي

منذ ان قرات في الصحف لاول مرة ان « الآداب » تزمع ان تحتفل بيوبيلها الفضي ، شعرت ان الامر لا يخلو من مفارقة .

فأعياد الميلاد ، سواء اكانت عادية ام فضية ام ذهبية ، ليس صاحبها هو الذي يحتفل بها عادة ، وانما اصحاب صاحبها من الاهل او الاصدقاء .

بديهي اننا لا نقصد من ذلك ان ننكر على « الآداب » حقها في ان تحتفل بذكرى مرور خمس وعشرين سنة على صدور عددها الاول ، لكن الاشياء كانت ستبدو لنا ابعد عن المفارقة واقرب الى المعقول فيما لو قلنا ان الاحتفال باليوبيل الفضي ليس من حق « الآداب » ، بل هو من حقها علينا .

لقد كان علينا ، نحن اصدقاء « الآداب » قراء وكتابا ، ان نقيم لها الاحتفال الذي تقيمه لنفسها في هذا العدد . ف « الآداب » هي واحدة من المجلات العربية القليلة التي كان وما يزال لها طابع المجلة القومية . ولا

النظر عن التسمية او المكان الذي ستصدر عنه ، وظهرت الآداب ، فكان سهيل ادريس السباق في تحقيق المجلة المطلوبة وتجسيمها على الورق واصدارها في بيروت ، وكان آن استقطبت اسماء معروفة في عالم الادب ، من الذين راودتهم فكرتها زمنا طويلا واقبلنا على اعدادها الاولى نشبعها الى جانب القراءة السريعة درسا وتمحيصا ، واصبحت مقالاتها مثار جدال ونقاش في المقاهي الادبية والمنتديات والمجالس الادبية والجامعات .. حتى غدت جزءا لا يتجزأ من عاداتنا الاجتماعية نتأبطها في مطلع كل شهر ونحتجز نسخنا عند البائع الذي نعاتبه عتابا مرا وشديدا ان سها عن حجزها.

بقيت الآداب تتقدم وتتطور وتبرز فيها اسماء لم تكن معروفة الا على النطاق المحلي ، واضحت مقالاتها واساليب كتابها وطرقها في العرض والتبويب مدرسة جديدة في الصحافة الادبية والثقافية . وقد حاولت الكثير من المجلات تقليدها والسير على خطاها ، فمن طريقها عرف اكثر الادباء معنى الالتزام في الادب وعرفوا الكثير عن الوجودية والشعر الحر وتعرفوا الى شوامخ الادب العالمي من خلال ما ترجم من آثارهم في القصة والمسرحية .. كما عرفوا معنى النزاهة في النقد وتقبّل المجلة له بروح عالية حتى لو كان ذلك يمس صاحب المجلة بالذات .. واشد ما كان يبعث الاسف والاسى في النفوس ان يمس ظل الارهاب الفكري الذي كان يخيم على العراق في العهد الملكي مجلة الآداب فتحتجز بعض اعدادها او تنهش يد الرقابة العميلة فتعمل بترا وتقطيعا في بعض صفحاتها التي قد تكون من روائع الادب العالمي التقدمي ... وكان سهيل ادريس يغامر ويتحدى الرقابة فيرسل بعض ما اقتطعته ايدي الرقباء الى بعض من يعرف عناوينهم من الاصدقاء فيطوي المقال المقتطع ضمن رسالة شخصية قد تنجو من سيف الرقيب وقد لا تنجو ، وكنت ممن وصلني بهذه الطريقة بعض ما اقتطعه رقيب البريد في العهد الملكي .

وتمر سنون اخرى عجاف على الآداب ، فتمنع من دخول هذا البلد او ذاك . وقد اصابها من احداث العراق وتتابع الثورات والهزات السياسية ومواقف معينة لها من بعض ما حصل في البلاد وتعجلها في اصدار الاحكام والآراء ، ان منعت فترة طويلة من دخول العراق ، لقد كانت تغيب شهورا لتعود بعد صفاء الجو وتحسن العلاقات ، ولكن على حساب فقدان الكثير من اعدادها ، وصاحبها يكتب متأثرا من هذه الحرب القاسية التي تشن عليه في شخص مجلته ..

ربع قرن مضى ، ومجلة الآداب لم تنقطع عن الصدور حتى في احلك ايام الحرب الاهلية في لبنان ، ورغم انها خلال تلك الفترة كانت تصدر بصورة متقطعة قليلة الصفحات وموادها ظاهرة الجفاف تغلب عليها المواضيع التقريرية ومقررات المؤتمرات وندوات سبق لها النشر في الصحف اليومية ، الا ان ذلك كان يشير الى رغبة صاحب المجلة وتوقه الشديد الى ابقائها على قيد الحياة رغم المصاعب المهلكة .

اتمنى لمجلة الآداب وقد عاصرتها منذ عددها الاول ان تستعيد نشاطها وتعاود نهوضها الادبي مجددا ، فهي تاريخ حافل وكامل للادب العربي المعاصر خلال ربع قرن من الزمن .

بغداد

اقصد بذلك قومية اتجاهها ، وانما قومية توزيعها وانتشارها وتوجهها . ففي هذا الزمن الاسود ، زمن سيادة النزعات القطرية السافرة او المبطنة ، زمن انهزام فكرة الوحدة العربية او انتكاسها غير المعلن ، تقف « الآداب » مع اقليل غيرها من المجلات العربية الفكرية والادبية ، لتفتح ثغرة ولو صغيرة في الدارة الثقافية المغلقة التي يعمل كل قطر عربي على حبس نفسه فيها . فعلى طريق « الآداب » ومثيلاتها القليلات ، لا يزال في وسع الكاتب الذي من مصر او المغرب او العراق او سورية ان يوصل صوته ورأيه الى زملائه الكتاب والى القراء في الاقطار الاخرى . وعن طريق « الآداب » ومثيلاتها القليلات ، ما يزال في مقدورنا ان نجد المسوغات للكلام عن ثقافة عربية واحدة وادب عربي واحد ، الخ..

ذلك هو امتياز « الآداب » الاول ، وبسببه لا يمكن الا ان نبقى اصدقاء لـ « الآداب » .

قد يكون لنا ، انا وانتم ، اكثر من اعتراض على ما ينشر في « الآداب » وعلى السياسة التي انتهجتها في الظروف المختلفة ، وقد يكون من حقنا ان نلاحظ ان « الآداب » — كأي مجلة اخرى مديدة العمر — تمر بفترات هبوط وصعود ، وقد يغيظنا هذا العدد من اعدادها ، وقد نصفق لذلك العدد الآخر . وقد نختصم مع رئيس تحريرها ، وقد نصطلح . وقد نكتب فيها بحماسة ، وقد نمتنع ونضرب . لكننا في جميع هذه الاحوال لا نستطيع ان ننكر على « الآداب » فضلا آكيدا لها ، وهي انها علمتنا بحكم وجودها بالذات ان نضع نصب اعيننا حين نكتب لا القارىء العربي في هذا القطر او ذاك ، وانما القارىء العربي في الاقطار جميعا .

وهذا ، في هذا الزمن القطري الاسود ، ليس بالشيء القليل . ولهذا بالتحديد كان علينا — نحن — ان نقوم بدلا عن « الآداب » بالاحتفال بيوبيلها . ولو فعلنا ، لما كنا وجدنا انفسنا امام المفارقة التي وضعتنا « الآداب » امامها .

بيروت